

أغالب الداء الوبيل

كتبت هذه الخواطر أثناء فترة العلاج التي قضيتها في ألمانيا الاتحادية من الفترة 2012/6/10م حتى 2012/11/6م وهي خواطر متفرقة كتبت بعفوية وصدق منطلقاً من الآية الكريمة (ليس على المريض حرج) ألح بعض الأصدقاء أن أنشرها كحالة إنسانية عارضة مر بها إنسان مهما كانت مواقفه أو مواقفه فهو يحتاج للمعاودة والمساعدة والدعاء. قال الحديث القدسي: (قال الله عز وجل مرض عبدي فلان فلم تعده أما أنك لو عدته لوجدتني عنده).

من منا لا يمرض ولا يتألم ولا يشيخ، والله هو الشايف. قال الشاعر الوزير غازي الصبيبي رحمه الله قبيل وفاته:

أغالب الداء المقيم الوبيل
أغالب الليل الحزين الطويل
أغالب الألام مهما طفت
فحسبي الله ونعم الوكيل
وحسبي الله قبيل الشروق

وأخذنا هذه الأبيات من تلك القصيدة المثرية الطويلة التي رثي نفسه فيها قبيل وفاته.. في لحظات المرض وهي أضعف الحلقات في حياة الإنسان وهي الأخطر بعد الفقر والجهل، التي تواجه البشرية في تاريخها القديم والمعاصر وفي مسار الحياة عموماً وجهود البشرية جمعاء في مكافحتها وهي ما تتطلب التكاتف والتضامن والعمل الدؤوب لقهز هذا التالوث المرعب الذي خرجت منه بعض البلدان ولا زالت تظلي بلبية بلدان واسعة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.. كان لابد من التطرق لهذا نظراً لحالتي المرضية التي مرت بها، هذه المرة محاولاً بها تجاوز الأوضاع الجسدية وآلام العمليات وما خلفته الجروح والندوب من عذابات نفسية يضاف إليها حرقة الفراق، فراق أهلي وأسرتي ووطني وأحبتي جميعاً ومنهم الشاعر الفذ محمد بن شيهون الذي سبق أن قال:

• 2 -

**أرضي وإن جارت عزيزة وإن بخل
علي بها رزقي ففكرها لها بخل
بها الأهل أيضاً رباهما لنا محل
ودارا بها مردوم بالشامخ الجليل
وهي عز رأسي ما أرزقي غيرها بدل
ولو خيروني الف من مثلها بديل**

لذا فأنت في المستشفى ترتشف اللحظات ارتشافاً للشفاء وللحياة وأنت تطلب من اليوم والليل الطويل الانجلاء (وياسه بذا اليوم يجزع) ويا أيها الليل الطويل أيا أنجل.. تريد أن تنفجر وهي محسوبة ومقدرة عليك وعندما تبدأ بقراءة الفتحة وسورة الاخلاص تشعر كما قال الشاعر الخالدي:

**وحسيت جسمي أنه انهار واضمحل
وأصبحت في حيرة كما الخائف الذليل**

تأتيك الاتصالات مشفوعة بالدعوات من أمريكا وكندا غرباً إلى الصين وبنكوك شرقاً ومن المملكة وأبوظبي ومسقط والبحرين ودبي ولندن وميريد مرورا ببيروت والقاهرة لا يمكن أن تعدد الاسماء ولهم جزء الخير وليس لدي غير ما قال الخالدي:

(وصلني غسل منهم وبارد لهم غسل بكأس الوفاء ذي كال في فيه يستكيل).

منهم من عدن ويقف وتعض وصنعاء والمكلا وصلنتي ولمست ذلك باليد دعواتهم المخلصة، وصلني سخاؤهم وأخص بالذكر الأخ عبدربه منصور هادي رئيس الجمهورية وعلي محمد سعيد ودرهم عبده سعيد وقاسم عبدالرحمن الشري وصالح أحمد العيساني والشيخ أحمد فريد الصريمة ومحمد عمر العيساني هؤلاء وقفوا معي وقفة الأخ مع أخيه وأشعر وبما أن العلاج مهما كانت تكاليفه باهظة فإنه يمكن المساعدة وتخفيف معاناة المريض والغلاء ومن يمتلك صداقة وأخوة هؤلاء بنيل مواقفهم وشجاعتهم وكرمهم فإن الدنيا لازالت بخير..

نسجل في هذا المناخ وبيئة المشافي والمصحات وريحة الأدوية واللقاحات ما يخفف من حدة الانتظار والبعض قد يعتبر انتظاركنا هو للبلص أو الطائرة ولا يدرى أي نكبة قد لحقت بجسم ضعيف كم عانى من العمليات الجراحية ومن التعب

أخذ الأمريكان وحدهم 1700 طن من الوثائق المتعلقة بالبحوث العسكرية والتكنولوجية والطبية المتقدمة في ذلك الوقت بأكثر من 20 سنة بالنسبة لأمريكا و30 سنة بالنسبة لروسيا.

استولى الأمريكان على مئات المصانع والمعامل وفيها 4 قنابل نووية، واحدة أبطل مفعولها والثانية استخدمت ضد المانيا والثالثة والرابعة استخدمتا ضد اليابان.

استولى الأمريكان على الصواريخ المتقدمة التي كانت تصل إلى القمر وكانوا والروس قد استفادوا من هذه القاعدة لتطوير برامج الفضاء لديهم.

- 5 -

عطلة الأحد:

تتعطل المرافق والخدمات الخاصة والعامه يومي السبت والأحد فيما عدا خدمات المستشفى والفنادق وغيرها من الخدمات الضرورية - بالنسبة لنا في هذا المصح فإن يومي السبت والأحد بالأخص يمتحانك التحرر من الفحوصات والعلاجات وبرامج اللياقة!

كانت عطلة الأحد في المصح من الأيام المميزة إذ وصلنا إلى (غاية المرام) وخاصة بالنسبة لسيادة العميد علي صالح محمد الذي خسر من الوزن أكثر من 4.5 كج تمت من خلال التمارين الرياضية المختلفة والمتوفرة بمهنية عالية.

طلب أصدقاء الأخ علي وهم من الألمان الطبيين وعندهم أخلاق عالية من الشهامة والكرم أخذنا في جولة على سفوح مدينة (بيساو) التي تبعد عن مدينتنا قرابة الساعة. في الطريق استعدت ذكريات السبعينيات عندما كنت مديراً عاماً للتعاون والإصلاح الزراعي في الفترة 1970-1975م وكنا نحاول بناء التعاونيات الزراعية والسكنية والخدمية ونجحنا بذلك وتم الاستفادة من التجربة الألمانية في بناء التعاونيات التي تبدأ بالتدريب من 1 حتى 3 قدموا لنا مساعدة قيمة حينها بما فيها بناء محطات التآجير الزراعي التي كانت تملك الجرارات الزراعية والحراثة والحصادات وغيرها نهبت جميعها في حرب 94م وتم تدمير كافة التعاونيات الزراعية والخدمية.

سألت مرافقي هل نهب الألمان الغربيون هذه المحطات والتعاونيات فقال مرافقي وهو من المناطق الشرقية (الاشتراكية سابقاً) إنها لازالت موجودة وتعمل بنفس الوتيرة وسأخذك إلى بعض مقراتها.

زرنا بعضها في تلك القرى الجميلة الت مزارعها تزرع القمح والذرة والشامي والشمندر ودوار الشمس.. ياله من منظر جميل أخاذ أعادني 35 عاماً إلى أيام الشباب وعند ما كنا نبخل في تقديم أي شيء كان يمكن به مساعدة العمال والفلاحين والفقراء في بلدنا. أخذنا دورات قصيرة وطويلة نسبياً في محافظة هالا ولايبزج والتتبورج وكان من الزملاء الذين رافقوني صالح أحمد النينو وكيل وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي حينها والسيد عبدالله حسين مساوي مدير مزرعة الثورة بلحج والعلم صالح حسين مدير بساتين الحسيني وبعد من مسؤولي المحافظات، كما ترافقتنا في دورة أخرى إلى لايبزج مع الأخ أحمد مساعد حسين عندما كان مديراً لفرع التعاون والإصلاح الزراعي في ذلك الوقت في شبوة وحضرنا معرض (اجرا) الزراعي الدولي الذي كان يحضره وزير الزراعة والإصلاح الزراعي محمد سليمان ناصر ووكيل الوزارة حينها الأستاذ حسين سالم باصديق والأخ القائد حسين الجابري.. لازالت الذاكرة تحتفظ بأجمل الصور عن بلدنا وعن هذا البلد الجميل ولازلت أذكر أنهم أطلقوا علي وصف قائد الثورة الزراعية عندما سأل عني الزميل والصدیق عبدالعزيز عبدالولي ناشر وكان في دورة قصيرة في وزارة الداخلية عندما كان وكيلاً لوزارة الداخلية.. هذه التسمية لم أوافق عليها ولا عبد العزيز الذي كان يمزح ويفرح ويضحك قائلاً (الله وأيش خلتنا للأخ سالمين)، رحم الله الأموات وهدى الله الأحياء (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

بعدها توالى الزيارات الرسمية والشعبية والخاصة التي خصنا بها الأصدقاء الألمان



سالم صالح محمد

السفارة في برلين .
3 - البرفسور د. جراح القلب / مهدي قادري
4 - الدكتور جراح/ معين عبدالرب السلمي
5 - الأستاذة المناضلة / سميرة الخطيب
6 - الدكتورة / نهلة الأصبحي - اختصاصي عيون
7 - الدكتور/ ماهر العيسى
8 - الدكتور/ خالد احمد صالح حاجب - اختصاصي تخدير
9 - الدكتور/ خليل جبران -

اختصاصي جراحة وهؤلاء الكرام أحاطونا بالرعاية والعناية والاهتمام أثناء وجودنا في الأراضي الألمانية كما زارنا إلى مشافنا الدكتور محمد السعدي وزير التخطيط والتعاون الدولي وأسرته الكريمة وزارنا السفير اليمني في إسبانيا الأخ مصطفى النعمان والسفير السابق عبدالرب العياشي لهم الشكر والتقدير..

أما الأصدقاء الألمان وبالذات السيد اوبي نائب رئيس جمعية الصداقة العربية الألمانية الذي أستقبلنا وودعنا في المطار وكان له الدور الأكبر في المساعدة على اختيار الأطباء والمستشفى والمصح المناسب فشكراً لهم وعاشت الصداقة بين الشعوب..

أوجاع الوطن:

حاولت خلال فترة العلاج ان أتوقف أو أوقف اهتمامي بالشؤون الداخلية أو العربية لكن ذلك هو الصعب والقاسي على العقل والنفس معا، فالوطن أهم من الأشخاص

يازينها ليلة اللقيا
حيا بها بيننا حيا
بها فؤادي يحيا
ينسى هوم الدنيا
كانها نسمة الغليا

- 8 -

في عقب المطار

إنها تحوم داخل وخارجك وأينما تكون؟! ولعل مسيرة الحراك الوطني وثورة الشباب والأحداث والتطورت هي ما يشغل البال ولذا سنختصر الحديث لنقول:

لا يمكن انتصار القضية الجنوبية بدون وحدة الموقف الجنوبي (قيادة - رؤى - حركة).
لا يمكن للجنوب التنازل أو السكوت عن حقوقه دون ارجاع وديعة 22 مايو التي نهبت بحرب 94.

خلال هذه الرحلة قرأت مجموعة كتب أهمها كتاب لأنيس منصور حول (السادات وبعض مذكراته) وهو كتاب مهم للغاية من جانب المعلومات التي أوردها السادات حول العلاقات المصرية - السوفيتية والمصرية - الأمريكية، وكتاب (دم ونفط) الذي باعتقادي ان على كل مثقف عربي ان يطلع عليه وذلك لما يحتويه من معلومات قيمة. كما قرأت رواية باولو كويلو (مكتوب) وأختتم بها خواطري بما قاله الكاتب:

(علينا الاعتناء بجسدنا فهو معبد للروح وهو يستحق احترامنا وحناننا. علينا استغلال وقتنا أفضل استغلال، علينا الكفاح من أجل أحلامنا وتركيز جهودنا في هذا المنحى لكن لابد من ان نتذكر أن الحياة قائمة على اللذات الصغرى هي موجودة لحقنا في مسعانا ومنحننا لحظات من الراحة فيما نخفض معاركنا اليومية.. ليست خطيئة أن نسعد وحسب وليس من السوء أن نخالف من وقت لآخر بعض الأنظمة من غذاء ونوم وسعادة لا تشعروا بالذنب ان هدرت بعض الوقت على (الترهات) فالملذات الصغرى هي محفزنا الأكبر).

لذا اسمحوا لنا ببعض هذه الترهات فيما كتبناه والسلام عليكم..

بالسماح لأسرنا وأولادنا بزيارة هذا البلد والعيش في (الكساندر بلاتس) وكأننا في ساحة العروض (ساحة الحرية) حالياً في عدن..

لقد كانت هناك مقابلات مع ايريش هونيكر وبعدها حضرنا والدكتور حسن مكى نائب رئيس الوزراء السابق فعاليات المؤتمر الدولي في برلين الذي تم التحضير له قبل الانهيار (الاشتراكي) وبالمناسبة فإن جورباتشوف هو من باع هذه التجارب وهذه البلدان مع أنه كان بالإمكان تسوية الأمور على أساس الأخذ بما هو أفضل.

أي مواطن هنا يقول لك بالحرف: الاتحاد الأوروبي هو لمصلحة الاحتكارات والسوق الواحدة، أما المواطن فهو يدفع غالباً الضرائب والأسعار المرتفعة ومضايقة العمالة الوافدة من البلدان الشرقية!!

كنا في آخر زيارة رسمية مع الرئيس علي عبدالله صالح عام 2008م وقابلنا وتباحثنا مع المستشار شرودر وحينها كان الرئيس بوش هو الرئيس الأمريكي الذي لايعرف غير (أنت معي أو ضدي) وبعد الزيارة كتبت مقالاً تحت عنوان (من يجرؤ على الكلام) نشرت في الصحف اليمنية والعربية وبعض المواقع الإلكترونية وهي تبين صحة رؤى وأفكار تحملها تجاه الأوضاع في ذلك الوقت..

- 6 -

لايبزج مدينة المعارض والشاعر جوته:

مدينة المعارض والجامعات والثقافة وما كانت تسمى (باريس الصغرى) عدنا إليها بعد ثلاثة عقود ولكن هذه المرة لم ندخلها من بوابة معارض لايبزج أو معهد الهيردر لتعليم اللغة الألمانية لكن من بوابة ما تم تغييره نحو الأفضل وهو (البانوهوف) محطة القطارات الذي تم تغييره نحو الأفضل ما يضيائي أفضل محطات القطارات في أوروبا، ولايبزج تعلم فيها المئات من أبنائنا وتخرجوا في كلياتها المختلفة وعادوا إلى الوطن وتبوأوا مراكز متقدمة في إخوة وأبناء وأصدقاء جميعهم تعلموا ودرسوا فيها وعادوا إلى أرض الوطن ولهم نفس الذكريات الجميلة حول هذه المدينة.. في هذه الزيارة التي استمرت يومين التقينا بالأخوة الأكارم الشيخ قاسم عبدالرحمن الشرفي وفضل الضالعي (أبو ناصر) وجلال كليب ومحمدعبدالرحمن حاجب جاؤوا لمعاودتنا وكانوا قد زاروا قبلها اسطنبول وبراغ ووصلوا إليها بالقطار.

لا يوجد خريج من أرض الوطن الا ومر على معهد (الهيردر) لتعليم اللغة الألمانية فمن يتجاوز امتحانه موجود ومن يفشل مطرود. تغيرت لايبزج لكنهم أبقوا على الآثار والمواقع الجميلة للنظام السابق ومن لايبزج قام الشباب بثورتهم المعروفة ضد النظام الاشتراكي السابق الذي تم تغييره والبعض الآن يتندم على ما كان يقدمه النظام السابق في مجال التعليم المجاني - الصحة المجانية - السكن شبه المجاني وغيره من الخدمات الأخرى لعموم المواطنين. نختتم الحديث حول هذه المدينة بما قاله الوزير الشاعر احمد مساعد حسين الذي كان معنا في دورة نتعلم فيها تجربة بناء التعاونيات الزراعية حيث قال:

**لايبزج في هواها كل عاشق يهيم
حد من الناس في الجنة وحد في الجحيم**

- 7 -

وجود أهلنا في المانيا:

هناك وجود مميز لأهلنا في المانيا إذ ان معظمهم من الأطباء والاكاديميين على سبيل المثال التقينا بكوكبة منهم:

1 - الدكتور/ محمد جعفر زين مؤسس جامعة عدن.

2 - الدكتور / جمال العكبري القائم بأعمال